محاضرة رقم ٥

في مادة: العلاقات السياسية الدولية

الفرقة الثالثة شعبة اقتصاد

بعنوان: **الفصل العاشر**

الدبلوماسية ودورها في إدارة العلاقات الدولية

دكتور/ إبراهيم زكريا الشربيني

الفصل العاشر

الدبلوماسية ودورها في إدارة العلاقات الدولية

- لقد تسع نطاق العلاقات الدولية مع اتساع المجتمع وتطوره وانتقاله من مجتمع الفرد والأسرة إلى مجتمع القبيلة ثم القرية ثم المدينة ثم "الدولة"، وبدأت يأخذ طابعاً دولياً.

- ومما سبق يبدو أن العلاقات نشأت منذ نشأة الإنسان والمتصفح لتاريخ العلاقات الدولية يرى أنها قامت بين الحضارات القديمة وشملت كافة نواحي الحياة وأخذت أشكالاً وأنماطا متعددة تلاءمت مع الظروف والأحوال التي كانت سائدة آنذاك.

- وقد ظهرت العلاقات الدولية حديثاً–كعلم أكاديمي مستقل –في بداية القرن العشرين، حيث أفرزتها الأحداث الدولية المتلاحقة، لذلك فهي مجال واسع للدراسة والبحث وهي متطورة ومتزايدة وذلك مع تزايد واتساع نطاق الأحداث الدولية. لذلك فإننا نستطيع أن نطلق عليها "بنك الأحداث" فهي تستوعب وتخزن الأحداث والعلاقات التي تتشابك بين دول العالم يوما بعد يوم.

- وقد ظهر هذا العلم الحديث ليدرس الصلات والروابط التي تربط بين الدول، شاملاً لكل نواحي الحياة اليومية التي تعترض حياة أي دولتين في العالم ويكون لها تأثير سياسي على العلاقات بينها.

- وما دفع لزيادة الاهتمام بالعلاقات الدولية هو الأحداث الدولية الهامة كما أسلفنا والتي كان من أهمها في بداية القرن العشرين هو الحربين العالمتين الأولى والثانية وما صاحبها من تطورات في مجال التسلح والتبادل التجاري والثورة العلمية والتكنولوجية وحركات التحرر العالمية وغيرها من الأحداث الهامة.

- ولا شك في أن هذه العلاقات والصلات بين الدول تحتاج إلى طرق ووسائل تدار بها.

- ومن ابرز هذه الوسائل هي عملية التفاوض والتمثيل والاتصال بين الدول والتي عرفت باسم "الدبلوماسية" .

مفهوم الدبلوماسية:

لغويا، اشتقت كلمة الدبلوماسية من الكلمة اليونانية "دبلوما (Diploma) والتي تعني المطوية أو الوثيقة، والتي كانت تعني الرسائل المطوية التي يتم تبادلها بين الملوك والرؤساء، وينسجم هذا المعنى مع ما كان يعرف في العهد الروماني بجوازات المرور والسفر والتي كانت في شكل وثائق مطوية.

أما اصطلاحاً، هناك أراء كثيرة ومتعددة للمفكرين والباحثين حول تعريف "الدبلوماسية"، حيث تنوعت تعريفاتها حسب وجهة نظر كل مفكر، يمكن استعراض بعضها فيما يلي:

- المفهوم العام للدبلوماسية، تعرف الدبلوماسية لدى العامة من الناس بأن لها ارتباط مباشر بالعلوم السياسية أو بالسياسة بشكل عام أو أنها ترتبط بالعلاقات بين الدول، ويستخدم الناس هذه الكلمة لوصف الانسان الذي يمتلك لباقة في التعامل ويكون قادراً على أداء مهمته بكفاءة عالية.

- ويمكن تعريف الدبلوماسية بأنها:

- عملية التمثيل والتفاوض التي تجري بين الدول في غمار إدارتها لعلاقاتها الدولية.

- أو إنها مجموعة القواعد والأعراف الدولية والإجراءات والمراسم والشكليات التي تهتم بتنظيم العلاقات بين الدول والمنظمات الدولية والممثلين الدبلوماسيين... وفن إجراء المفاوضات السياسية في المؤتمرات والاجتماعات الدولية وعقد الاتفاقات والمعاهدات.

- ويعرفها الخبير الدبلوماسي الأمريكي "جون كينان": أنها عملية الاتصال بين الحكومات.

- أو إنها فن إدارة العلاقات الخارجية أو أسلوب رعاية مصالح الدولة في الخارج ولدى الدول الأخرى وهي الأساليب السياسية التي تتبعها، الدولة في تنظيم علاقاتها مع الدول الأخرى.

- ومن أجمل تعاريف الدبلوماسية أنها فن الحصول على الممكن بدلاً من انتظار المستحيل.

- وهناك الكثير من التعاريف لمفهوم الدبلوماسية يصب معظمها في موضوع التفاوض والتمثيل بين الدول وكيفية إدارة هذه العلاقات والمفاوضات وكيفية أداء هذه المهمة من قبل الشخص الملقى على عاتقه هذا الواجب وهو "الدبلوماسي". ومدى قدرته ومدى امتلاكه للفنون والأدوات اللازمة لإنجاح هذه المهمة.

وهذا الأمر يقودنا إلى العودة للجذور التاريخية لتطور الدبلوماسية.

التطور التاريخي للدبلوماسية:

- مما سبق عرفنا أن الدبلوماسية بأشكالها ومظاهرها المختلفة هي أسلوب قديم قدم بني ادم

- فقد نشأت العلاقات منذ أن وجدت الأسرة والقبيلة وكونت الجماعات.

- وقد اتخذت هذه العلاقات مسارات مختلفة، فمنها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والعسكرية والأمنية وغيرها، وكل هذه المسارات تحتاج إلى التفاوض من اجل إدامتها واستمرارها.

- وهذا ما كانت تلجأ إليه الأمم والشعوب في تعاملاتها مع بعضها البعض.

- فقد كانت ترسل السفراء والمبعوثين وذلك لعرض وجهات نظر بلادهم وتوضيح رأيهم في مسألة ما والحصول على الجواب من الطرف الآخر المفاوض لهم.

- قد اتضح ذلك جلياً في التفاوض بشأن تنظيم العلاقات العسكرية والحربية والأمنية، حيث كان يتم إرسال المبعوثين من اجل إيقاف القتال والحصول على هدنه معينة أو معاهدة أو اتفاقية ما بقصد إحلال الأمن والسلم بين الطرفين المتحاربين.

- وقد برع في التفاوض رسل ومفاوضون كانوا معروفين في بلادهم ولدى حكامهم، يمتلكون اللباقة والمهارة والموهبة وبعد النظر وغيرها من الصفات الهامة والضرورية لمن يقوم بهذه المهمة من اجل تحقيق النجاح في عمله.

- ولقد تطورت الدبلوماسية واختلفت أساليبها ووسائلها باختلاف الدول والحضارات ومارستها الشعوب والأمم على الصعيدين الداخلي والخارجي.

- ويشير تاريخنا العربي الى ان العرب كان لهم تاريخ دبلوماسي حتى قبل مجيء الإسلام لقد مارس العرب العمل الدبلوماسي من خلال إقامة العلاقات بأنواعها المختلفة سواء على الصعيد الداخلي أو الصعيد الخارجي، حيث قاموا ببناء الروابط والتفاعلات مع الدول المجاورة لهم بحكم الموقع الجغرافي والتقارب المكاني، فأنشأوا العلاقات مع دول الأطراف المحيطة بهم مثل حمير وسبأ ومعين، وبلاد سوريا الطبيعية وبلاد فارس وبلاد إفريقيا والشعوب التي كانت تعيش في هذه البلاد.

- واستخدم العرب الرسل كأفضل وسيلة للاتصال وإقامة العلاقات فكانوا يرسلون الرسول لينقل وجهة نظرهم في قضية ما ويجري التفاوض وتبادل الآراء مع الطرف الآخر وصولاً إلى ما يحقق الهدف الذي ذهب من اجله.

ولقد كان من عادة العرب احترام الرسول وعدم الاعتداء عليه أو إيذائه (الحصانة) وإكرامه وحسن استقباله وهذا نابع من جوهر الصفات الطيبة التي كان يتمتع بها الإنسان العربي.

وعندما جاء الإسلام عزز "العمل الدبلوماسي" وعمل على تطويره حيث اتبع الرسول (ص) وسيلة إرسال الرسل والمبعوثين والسفراء لنقل رسائله إلى ملوك وأمراء الدول المجاورة للجزيرة العربية

ومن الأسس الدبلوماسية الهامة أن الإسلام كان وما زال يحترم الرسل ولا يعتدي عليهم بل كانوا يتمتعون بالأمان والاطمئنان في دار الإسلام لأن الإسلام دين لا ينقض العهد والميثاق ولا يخلف العهد والوعد ولا يعتدي لأن الله لا يحب المعتدين. فبمجرد دخول السفير أو المبعوث إلى دار الإسلام فهو في عهد وأمان إلى أن يغادرها.

الدبلوماسية اليوم:

أما الدبلوماسية في العصر الحديث فقد تأثرت شأنها شأن أي شيء آخر في هذا العالم بالتطورات والتغيرات الكثيرة التي شهدها العالم مثل التطورات الصناعية والاختراعات العلمية وتطور وسائل الاتصال والمواصلات وانتشار ظاهرة العولمة ودور الدبلوماسية في هذا العالم الذي أصبح قرية صغيرة بالإضافة إلى وقوع الأحداث العالمية الشاملة كالحروب العالمية الأولى والثانية وما صاحبها من عقد المؤتمرات وإجراء المفاوضات وتوقيع المعاهدات والاتفاقيات كل ذلك أدى إلى تطور مفهوم الدبلوماسية واتساع آفاقها وبروز أهميتها أكثر مما مضى من الأوقات فأخذت أشكالاً متعددة ومتطورة ابتدأ من بالدبلوماسية الثنائية والدبلوماسية المتعددة الأطراف مرورا بالدبلوماسية الجماعية والوقائية والشعبية وانتهاءً بدبلوماسية المؤتمرات والاجتماعات الدولية .

- وجاء مؤتمر (وستفاليا) عام ١٦٤٨ ليرسخ مفهوم التمثيل الدائم للبعثات الدبلوماسية ويعمل على استقرار هذا النظام وذلك ترسيخاً للأمن والسلم والاستقرار في أوروبا خاصة وفي العالم عامة. وذلك لما للمبعوث الدبلوماسي من أهمية ودور في المحافظة على العلاقات الدافئة والحميمة بين الدول.

- ولكن بقيت الدبلوماسية بحاجة إلى تطوير في جوانبها كافة من حيث واجبات المبعوث وحدوده التي يجب أن لا يتجاوزها في الدولة المضيفة والأساليب التي يجب عليه إتباعها وما هي حصاناته وامتيازاته والإجراءات العقابية التي قد يتعرض لها فيما لو انتهك قانون الدولة المضيفة أو اطلع على أسرارها وخصوصياتها.

- كل هذه الأمور كانت لم تتبلور بعد إلى أن عقد مؤتمر فينا عام ١٨١٥ والذي كان له الدور الأكبر في توضيح الكثير من الأمور التي تتعلق بالعمل الدبلوماسي والتي كان من أهمها: درجات المبعوثين وأقدميتهم وفئاتهم والتي كانت موضع خلاف بين كثير من البعثات الدبلوماسية والتي كانت سبباً رئيساً كاد أن يؤدي إلى قيام الحروب والنزاعات بين الدول بسبب هذا النوع من الخلاف.

- لذا جاء هذا المؤتمر ووضع النقاط على الحروف لكثير من المواضيع الهامة في مجال العمل الدبلوماسي.

- ثم توالت الأحداث العالمية والتغيرات الكثيرة الشاملة لكافة نواحي الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعسكرية وهذا التغير والتطور اثر بطبيعة الحال على العمل الدبلوماسي فأحدث فيه ما لم يكن فيه.

-وخصوصاً بعد أن شهد العالم قيام الحروب العالمية التي ساهمت بالتأثير على العلاقات الدولية وساهمت أيضاً بازدياد التطور والتقدم العلمي وظهور المزيد من الاختراعات والاكتشافات وتطور وسائل الاتصال والمواصلات وسرعة تبادل المعلومات والمراسلات، هذا كله ساهم بالتأثير وبشكل مباشر على العمل الدبلوماسي مما تتطلب واستدعى تطوير الدبلوماسية واستحداث أشياء جديدة فيها يتطلبها الوضع الجديد.

- وازداد هذا التطور وهذا التغير بعد الحرب العالمية الثانية وبرز موضوع المصالح بين الدول بشكل واضح ومدى تأثير ذلك على السياسة الخارجية للدول وبروز أهمية الدبلوماسية كوسيلة رئيسية من وسائل تنفيذ السياسة الخارجية.

- واهتمت الأمم المتحدة بعد أن أنشأت عام ١٩٤٥ بموضوع الدبلوماسية من أجل تطوير العمل الدبلوماسي بما يتلاءم مع التطور الكبير الذي أصاب العلاقات الدولية وتغير نمط النظام الدولي مما أدى وبعد مداولات كثيرة بين الدول الأعضاء إلى عقد مؤتمر دولي عام ١٩٦١ في فينا في النمسا ونتج عنه اتفاقية دولية تنظم العلاقات الدبلوماسية واشتملت على قواعد كثيرة وشاملة تنظم وتحكم العمل الدبلوماسي والقنصلي.

- وعالم اليوم هو اشد ما يكون إلى لغة الحوار والتفاهم وتبادل وجهات النظر أكثر من حاجته إلى العنف والتطرف والتشدد والوسيلة الأفضل والانجح لتحقيق ذلك هي الأداة الدبلوماسية فقط لا غير.

- إن ما نشهده اليوم من اضطراب وحروب في أرجاء العالم تفرض على الحكماء والعقلاء أن يجعلوا من الدبلوماسية الطريق الوحيد لحل مشكلات هذا العالم .

ومن الأدوار الهامة للدبلوماسية في العلاقات الدولية ما يلي:

١-تعتبر الأداة الأولى من أدوات تنفيذ السياسة الخارجية للدولة .

٢-الوسيلة الأولى لصناع القرار لتسويغ قراراتهم وإقناع الآخرين بها في إطار حركة التفاعل الدولي .

٣-مثار اهتمام الأوساط الإعلامية في العالم لما لها من دور في تسيير الشؤون الدولية

٤-الوسيلة الأولى للدول لتسهيل قيام علاقات ودية وسلمية بينها .

٥-الدبلوماسية هي الأداة الأولى لذلك الشخص المعني بممارسة التفاوض والتوفيق بين مصالحة بلادة والبلاد الأخرى والتمثيل لبلادة (الدبلوماسي) يستخدمها لتقريب وجهات النظر

٦-تستخدمها الدول بعد استقلالها وتحقيقها السيادة الوطنية لإثبات الذات في المجتمع الدولي حيث يتم ممارسة الدبلوماسية بمظاهرها كافة كالتمثيل الدبلوماسي والإعلام والتفاوض وعقد المعاهدات .

٧-وسيلة لتحقيق السلام في حركة تفاعل المجتمع الدولي لذلك فهي تدخل في دائرة المدرسة المثالية (الأخلاقية – القانونية) والتي تتفاءل ببناء عالم خالي من النزاع والصراعات.